أضواء على أساليب هروب السجناء

م.د. وجدان عبد الجبار حمدي* م.د. رائد محمد حامد **

تأريخ التقديم: 2012/6/18 تأريخ القبول: 2012/11/7

المقدمـــــة

إن إقدام السجين على الهروب من سجنه ليس بالعملية السهلة أو اليسيرة كما تبدو للوهلة الأولى، إذ كانت العملية تحتاج إلى تخطيط مسبق ودراية كاملة تتعلق ببناء السجن من حيث مواطن القوة والضعف فيه ومعرفة محيطه الخارجي، فضلاً عن معرفة تمركز حراس السجن وتواجدهم ومعرفة العناصر التي تتسم بالانضباط والجدية في حراستهم والذين يتسمون بالتراخي والإهمال لكي يتم استثمار ذلك الخلل في تحقيق عملية الهروب.

تلك العوامل كلها جعلت السجناء يتفننون في عمليات الهرب من السجن وعند استعراض محاولات الهروب هذه تبين أن هنالك محاولات قام بها السجناء من داخل السجن فضلاً عن محاولات اتسمت بالمساعدة الخارجية التي سهلت عملية الهروب، فضلاً عن أعمال الشغب والاضطرابات التي كانت تعصف بالدولة الإسلامية من حين الى آخر والتي تنتهي عادة بكسر السجون، وستقوم هذه الدراسة بتتبع وسائل الهرب هذه:

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.
** قسم التاريخ/ كلية الآداب / جامعة الموصل.

أولاً: الظروف والوسائل المساعدة على الهرب

لغرض نجاح عملية هروب السجناء من سجونهم لابد لهم من اختيار آمرين

1. الظروف المناسبة والتي تتمثل بما يلي:

أ. **كسب ثقة الحراس**: تعد من الاساليب الناجحة التي اتبعت في عمليات الهروب من السجن هي كسب ثقة الحراس بالتودد والتقرب منهم و معرفة نقاط الضعف لديهم لاستغلالها وبشكل متقن للهرب من السجن حيث يعتمد العديد من السجناء الأغنياء على الطعام الذي يعد لهم خارج السجن ويقدم لهم وفق فترات محددة ومعلومة لدى الحراس الموكلين بهم، وفي الغالب يكون الطعام المعد لذلك السجين الغني كثيراً وشهياً في الوقت نفسه، فيعمد السجين إلى تقديم بعض ذلك الطعام للحراس الموكلين به من باب التودد إليهم وكسب ثقتهم، فقد أُشير إلى أن أحد السجناء الأغنياء كان يصنع طعاماً كثيراً للحراس ويأمر لهم بشراب وهو في السجن[1]، وبعد أن يطمئن الحراس إلى ذلك الطعام الشهي مدة من الزمن، يوضع فيه مخدر "بنج" ويقدم إلى الحراس وبعد أن يسري مفعول ذلك المخدر في الحراس يهرب السجين[2]، ولم يقتصر استخدام المخدر على الطعام فقط بل استخدم في الحلوى التي تقدم إلى الحراس من حين إلى آخر[3]. إن تقبل الحراس الطعام الذي قدمه لهم السجناء يثير تساؤلاً حول نوعية وجودة الطعام المقدم لهم من الدولة في ذلك الوقت، ومن الراجح إن تقبلهم وتهافتهم على

(1) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، (طبعة أخيرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر: 1952)، 135/1.

(2) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 إلى سنة 333 هجرية، من كتاب الأوراق، عني بنشره: ج. هيورث. دن، (ط2، دار المسيرة، بيروت: 1979)، ص69.

(3) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، أشرف على تصحيحه: إبراهيم الزين، (دار إحياء علوم الدين، بيروت: 1961)، ص408.

حلوى السجناء الأغنياء وطعامهم دليل على أن الطعام المقدم لهم ليس بالجودة التي تغنيهم عن ذلك الطعام الشهي المقدم من السجناء الأغنياء.

ب. **إهمال وانشغال الحراس:** من الحيل الطريفة التي اتبعها أحد السجناء للهرب من الحبس إدعائه بالعمى "وبقي على ذلك زمناً حتى اعتقد الناس فيه العمى فأهمل أمره الموكلون بالسجن فهرب"[1]، فضلاً عن اغتنام السجين الفرصة السانحة للهرب عندما يرى انشغال الموكلين به بالاحتفال بالأعياد والمناسبات المختلفة[2]، فقد وصف أحد السجناء طريقة خلاصه من السجن في القبة المحبوس فيها، كانت فيها عدة روازن وكوى واسعة الضوء، فطلب مقراضاً ليقص بها أضافره ورفع إليه، فعمد إلى لبد كان تحته فقطع نصفه بالمقراض وقطعه كهيئة السيور، وعمل منه مثل السلم وطلب منهم سعفة ذكر أنه يريد أن يطرد بها الفأر فإنه يأكل خبزه فينجسه عليه فاعطوه فقطعها وخرز حواليها بالمقراض حتى كسرها ثلاث قطع وقرنها بمسواكه وجعلها في رأس السلم وحلق به في أقرب روزنة من تلك الروازن إليه فعلق فيها وتسلق عليه وجذبه إليه لما صعد فنجا وكانت ليلة من سنة 219هـ/ م[3].

كما يذكر التنوخي قصة هروب سجين بعد ان انتبه الى ان جميع الحراس نائمون و باب السجن غير مقفل ولم يحكم اغلاقه كما كانوا يفعلون وقد اغفلوا عنه، فاستغل هذا السجين هذه الفرصة ونجح في الهرب[4].

ج. **عنصر المباغتة:** يعتمد السجناء على عنصر المباغتة بإستغلال الظرف المناسب للهرب والتي تتمثل بقلة عدد الحراس في السجن نتيجة اهمال

(1) الزركلي، الأعلام، 20/8.

(2) الطبري، تاريخ، 7/9-8.

(3) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص417؛ التنوخي، الفرج بعد الشدة، 139/1-140؛ المنجد، صلاح الدين، بين الخلفاء والخلهاء، (ط2، دار الكتاب الجديد: 1974)، ص144-145.

(4) التنوخي، الفرج بعد الشدة ، 135/1.

ادارة السجن لهم، او تخلف الحراس عن اداء واجبهم بصورة صحيحة ما يؤدي الى حدوث فراغ يعد بمثابة فرصة مناسبة تستغل من السجناء للمباغتة كما فعل احد السجناء الذي استغل تقرب السجان منه بالقدر الكافي الذي يستطيع فيه أن يباغته فيقتله، ثم يلوذ بالفرار كفعل أحد السجناء الذي "أغتال السجان فقتله وخرج ومن كان معه من السجن فهربوا"[1]، وهو يقول:

برزت بها من سجن مروان غدوة فأنستها بالايم لما تحمل
وتألى باب السجن ليس بمنته وكان فراري منه ليس بمؤتلتي
إذا قلت، رفهني من السجن ساعة تدارك بها نعمى علي وأفضل
يشد وثاقي عابساً ويتلني إلى حلقات في عمودٍ مرمل
أقول له والسيف يعصب رأسه أنا أبن أبي أسماء غير التنحل[2]

2. الوسائل المساعدة:

أ. **دفع المال لقاء الهرب:** تعد من الوسائل المساعدة في نجاح عملية الهروب من السجن، فيروى أن أحد السجناء اتفق مع السجان الموكل بحراسته على مبلغ من المال يدفعه السجين إلى السجان مقابل أن يرفع اسمه مع أسماء الموتى[3]، لكي يغادر السجن بعد أن يشطب اسمه من سجل الأحياء، إن تلك المحاولات من قبل السجناء لم تكن غائبة عن مسامع المسؤولين في الدولة بل كان لها أصداء في الآذان،

(1) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، شرح: عبد علي مهنا وسمير جابر، (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1986)، 147/24.

(2) القتال الكلابي، عبد الله بن محبب بن المفرجي، ديوان القتال الكلابي، تحقيق وتقديم: إحسان عباس، (دار الثقافة، بيروت: 1961)، ص76.

(3) أبن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، أخبار الأذكياء، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، (ط1، دار أبن حزم، بيروت: 2003)، ص151؛ الصفدي، صلاح الدين أبو الصفا بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: جاكلين سوبلة وعلي عمارة، (ط2، دار صادر، بيروت: 1981)، 279/10.

ولمعالجة ذلك الخلل كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م) إلى ولاته في الأقاليم يوصيهم بعدم تولية أمر السجون من لا يثقون به واستبعاد من يرتشي[1]، وتوليته "رجلاً من أهل الخير والصلاح"[2]، لأن الرشوة لم تكن نادرة، ولا ريب أن ذوي اليسار من المسجونين كانوا يستطيعون في معظم الأحيان أن يشتروا راحتهم[3].

ب. **إدخال أدوات لفك القيود**: كانت زيارة السجين متاحة لأقارب السجين في سجون الدولة الإسلامية، وكانت هذه الزيارة تستغل في بعض الأحيان لتخرج عن نطاقها وذلك بمساعدة السجين على الهرب عن طريق إدخال أدوات تساعده في فك القيود التي تعيق حركته داخل السجن، وذكر أن أحد الأشخاص قال لسجين: "سأرسل إليك بحديدة في طعامك فعالج بها قيدك حتى تفكه ثم ألبسه حتى لا تنكر فإذا خرجت إلى الوضوء فأهرب من الحرس فإني جالس لك ومخلصك ومعطيك فرساً تنجو عليه وسيفاً تمتنع به، وكان أهل المدينة يخرجون المحتبسين إذا أمسوا للوضوء ومعهم الحرس ففعل ما أمر به وهرب"[4]، وكانت إمرأة سجين تصنع طعاماً وترسل به إلى زوجها في

(1) ابن سعد محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، (دار صادر، بيروت: د. ت)، 356/5؛ علي، محمد كرد، الإدارة الإسلامية في عز العرب، (مطبعة مصر، القاهرة: 1934)، ص105؛ حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي 40-132هـ/750/661م، (ط3، دار النفائس، بيروت: 1983)، ص428.

(2) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، (دار المعرفة، بيروت: 1979)، ص150؛ الرحبي، عبد العزيز بن محمد فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج، تحقيق: أحمد عبيد الكبيسي، (مطبعة الإرشاد، بغداد: 1975)، 242/2.

(3) كاشف، سيدة إسماعيل، أحمد بن طولون، (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: د. ت)، ص176.

(4) الأصفهاني، الأغاني، 149/24.

السجن وأرسلت إليه بشيء فيه مساحل من حديد[1] "مبارد" فبرد بها قيوده وهرب[2].

ثانيا: طرق الهرب:

تعددت وتنوعت طرق هروب السجناء من سجونهم و اتخذت اشكالاً متعددة منها:

1. اختراق بناء السجن:

تتم عملية اختراق بناء السجن بالتخطيط المسبق لها سواء كان فرديا أو جماعيا يرافقها تلقي المساعدة أحيانا من داخل السجن او من خارجه، و من هذه الطرق:

أ. **ثقب الجدران:** كان بناء السجن في العهد الراشدي بسيطاً حيث كان من القصب[3]، وغير متين وكان يسهل على السجين خرقه، فقد أُشير إلى أن أحد السجناء في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) (13-23هـ/634-643م) كان محبوساً في سجن الكوفة[4]، وكان "السجن يومئذ من القصب ففرج القصب وخرج"[5]، حتى إن الإمام علي (ﷺ) (35-40هـ/655-

(1) البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، 176/3.

(2) الحصونة، نشأة السجون وتطورها، ص85.

(3) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، (مطبعة بريل ليدن: 1302هـ)، ص188؛ العلي، صالح أحمد، خطط البصرة ومنطقتها- دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى، (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد: 1986)، ص71-76؛ الشيخلي، محمد رؤوف السيد طه، تاريخ البصرة القديمة وضواحيها، (ط1، مطبعة البصرة: 1972)، ص9.

(4) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابن الفضل، الإصابة في تمييز الصحابة، مكتبة المثنى، بغداد: د. ت)، 528/3؛ الصمد، واضح، السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، (ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت: 1995)، ص30.

(5) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الأوائل، (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1987)، ص120.

660م) انتبه إلى أن سجن نافع الذي شيده[1]، لم يكن حصيناً فقد كان على السجناء ثقبه والهرب منه فعمد إلى هدمه لعدم صلاحيته [2].

وقد يلجأ السجين الى البحث عن نقاط الضعف في جدران السجن وعندما يكتشف بعض نقاط الضعف يعمد الى ثقب الجدار وعمل فتحة فيه ثم الهرب منها ويتم هذا الامر احيانا بمساعدة فردية خارجية، فيذكر أن كان جديع بن علي الكرماني (ت 129هـ/746م) شيخ خراسان وفارسها[3]، أغلظ القول للوالي[4]، وكان مصراً على معارضته فحبسه الوالي[5]، وكان رجلاً ضخماً عظيم الجثة، فقال له مولاه أتوطن نفسك على الشدة والمخاطرة حتى أخرجك من هذا الحبس، قال الكرماني وكيف تخرجني قال أني قد عّينت على ثقب ضيق يخرج منه ماء المطر، فوطن نفسك على سلخ جلدك لضيق الثقب. . . فلما جن الليل ونام الحراس أقبل مولاه من خارج السور فوقف له على باب الثقب وأقبل الكرماني حتى أدخل رأسه في الثقب وبسط فيه يديه حتى نالت يديه كفي مولاه فأجتذبه اجتذابة شديدة سلخ بها بعض

(1) البلاذري، أحمد بن يحيى، كتاب جمل من أنساب الأشراف، تحقيق وتقديم: سهيل زكار ورياض زركلي، (ط1، دار الفكر، بيروت: 1996)، 359/2؛ الصمدي، محمد بن يحيى، جواهر الأخبار والألفاظ المستخرجة من لجة البحر الزخار في هامش كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار لابن المرتضى، علق عليه: محمد محمد تامر، (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 2001)، هامش 209/6.

(2) البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاري، (ط1، دار المعرفة، بيروت: 1955)، مج1350/3؛ الخفاجي، شهاب الدين أحمد، شفاء العليل في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق ومراجعة: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط1، المطبعة المينرية، القاهرة: 1952)، ص153.

(3) الزركلي، خير الدين، الأعلام، (ط3، بيروت: 1969)، 104/2.

(4) البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، 174/4.

(5) المعاضيدي، عبد القادر، واسط في العصر الأموي 81–132هـ/700–749م، (ط1، دار الحرية، بغداد: 1976)، ص228.

جلده ثم اجتذبه ثانية حتى انتهى به إلى النصف ثم جذبه الثالثة فأخرجه وذهب به إلى منزله[1].

واستمرت عمليات ثقب السجون وهروب السجناء في كثير من سجون الدولة الإسلامية، فقد روي أن أحد السجناء في سجن مكة استطاع ثقب السجن والهرب[2]، وأشير إلى هروب جماعي للسجناء بعد ان تم التخطيط لعملية الهروب من داخل السجن بثقب الجدران فيذكر ان ثلاثة من السجناء "كانوا محبوسين في مطمورة[3] واسط ثقبوها فخرج الثقب في دار يهودي فخرجوا منها"[4]، ومن المؤكد أن هروب السجناء بتلك الطرق الأنفة الذكر تحتاج إلى مساعدة من الخارج لكي يستطيعوا الهرب، فقد روي أن سجن المطبق[5] في بغداد نقب سنة 272هـ/885م)" من داخله وأخرج بعض المحابيس الذين ركبوا دواباً أعدت لهم وهربوا"[6].

ب. ثقب السقوف: تعد من أبرز عمليات طرق الهروب الناجحة التي اتبعها السجناء في اختراق السجون، فعندما حبس الحليفة عمر بن عبد العزيز

(1) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داؤد، الأخبار الطوال، (مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر: د. ت)، ص300.

(2) الحصونة، رائد حمود، نشأة السجون وتطورها في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية التسلط التركي 334هـ/945م، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة البصرة: 2002، ص85.

(3) المطمورة: جمعها مطامير، وهي حفرة او مكان تحت الارض، وقد هيئ خفيا يطمر "يحفظ" فيه الطعام والمال. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 281/4.

(4) أبن الفوطي، أبو الفضل عبد الرزاق، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تصيح وتعليق: مصطفى جواد، (مطبعة الفرات، بغداد: 1932)، ص217.

(5) سجن المطبق: من اشهر سجون بغداد بناه الخليفة ابو جعفر المنصور، على طريق باب البصرة وطريق باب الكوفة، وعرف بالحبس الاعظم. انظر اليعقوبي، البلدان، 9.

(6) أبن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ، (دار صادر– دار بيروت: 1965)، 419/7.

يزيد بن المهلب[1]، الذي كان والياً لخراسان بعد وفاة أبيه سنة 83(هـ/702م)[2]. ثم عزله الخليفة عبد الملك بن مروان (75–86هـ/ 694–705م) برأي من الحجاج بن يوسف الثقفي[3](ت 95هـ/713م)، فلما عزله حبسه[4]، فهرب إلى الشام[5]، ولما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة (96–99هـ/714–717م) ولاه العراق[6]، ثم خراسان[7]، ثانية فعاد إليها[8]، ثم نقله إلى إمارة البصرة فبقي فيها حتى عزله عمر بن عبد

(1) المقري، أبن عبد الله شمس الدين محمد، المختار من نوادر الأخبار، تحقيق: أنور أبو سويلم، (ط1، دار عمار، بيروت: 1986)، ص74.

(2) ابن الحداد محمد بن منصور بن حبيش، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تحقيق ودراسة: رضوان السيد، (ط1، دار الطليعة، بيروت: 1983)، هامش ص106؛ الزركلي، الأعلام، 246/9.

(3) المدائني، أبو الحسن علي بن محمد، كتاب التعازي، تحقيق: أبتسام مرهون الصفار وبدري محمد فهد، (مطبعة النعمان، النجف الأشرف: 1971)، هامش ص85؛ الجومرد، محمود، الحجاج رجل الدولة المفترى عليه، (ط1، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد: 1985)، ص86.

(4) فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله عن الألمانية: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: حسين مؤنس، (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: 1958)، ص249.

(5) ابن اعثم، أبو محمد أحمد، كتاب الفتوح، (ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد، الدكن، الهند: د. ت)، 211/7–212؛ ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998)، 246/5.

(6) أبن الجوزي، الاريج في المواعظ والتواريخ، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، (دار البيان العربي، القاهرة: 2002م)، هامش ص100.

(7) أبن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تصحيح وتعليق: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، (ط1، المطبعة الإسلامية، مصر: 1934)، ص175.

(8) الحموي، تقي الدين أبو بكر بن حجة، ثمرات الأوراق، تصحيح وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1، مطبعة السنة المحمدية، مصر: 1971)، هامش ص16.

العزيز[1]، واستدعاه إلى الشام وحبسه في حلب[2]، وضيق عليه[3]، وبلغ يزيد أن الخليفة عمر مريض فخاف موته وهرب من سجنه[4]، بعد أن كتب إلى عمر بن عبد العزيز: لو علمت أنك تبقى ما فعلت[5]، وبعد وفاة الخليفة عمر سنة (101هـ/719م) هرب يزيد من حبسه[6]، وصار إلى البصرة[7]، حذراً وخوفاً من الخليفة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/719-723م)[8]، وكان يزيد بن المهلب محبوسا "في غرفة أسفلها

(1) البياسي، يوسف بن محمد بن إبراهيم، الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام، تحقيق: شفيق جاسر أحمد محمود، (ط1، عمان: 1987)، هامش 235/2.

(2) أبو غدة، حسن، أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، (ط1، مطبعة الفيصل، الكويت: 1987)، ص550.

(3) الشمري، هزاع بن عيد، مشاهير كرماء العرب في الجاهلية والإسلام، (مطبعة دار أسامة للطبع والنشر، الناصرية: 1978)، ص132.

(4) حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص441؛ الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية- الدولة الأموية، (المكتبة التجارية الكبرى، مصر: 1969)، 187/2.

(5) المبرد، أبو العباس محمد يزيد، الكامل، تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، (مطبعة نهضة مصر: د. ت)، 10/1.

(6) الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، (ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة: 1938، ص50؛ أبن ظفر، أبو عبد الله محمد، أنباء نجباء الأبناء، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت: 1980)، ص125؛ شيخو، لويس، شعراء النصرانية بعد الإسلام، (ط2، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت: 1967)، ص140.

(7) المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، (مطبعة برطوند، مدينة شالون: 1919)، 47/6؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والأشراف، تصحيح ومراجعة: عبد الله إسماعيل الصاوي، (دار الصاوي، القاهرة: 1938)، ص277.

(8) الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، (لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: 1967)، 3/2.

بيت فأحتيل عليه وقد تشاغلت الحرس عنه. . . فمليء البيت تبناً ثم ثقب السقف وألقى نفسه"[1] وهرب من السجن.

حفر الانفاق: مما لاشك فيه أن ذلك الهروب من السجن يحتاج إلى إمكانيات كبيرة (بشرية ومادية) ولا يحظى بها أغلب السجناء، فالسجين الذي له مكانة كبيرة في المجتمع وله أتباع وموالين لا يألون جهداً في تخليص سيدهم من السجن عن طريق تهريبه ومن تلك المحاولات حفر نفق تحت الأرض للوصول إليه وتهريبه وهذا ما حصل فعلاً، حيث كان لأحد السجناء مولى من الدهاة[2]، ومعه غلمة روميون قد علموا صناعات الروم وأعمالهم[3]، اكتروا داراً إلى جانب الحبس ثم نقبوا سرداباً إلى الحبس[4]، حتى خرج الحفر تحت سريره[5]، وسقفوه بالساج[6]، وأكتروا داراً أخرى إلى جانب حائط سور المدينة[7]، وبذلك هرب من سجنه ليلاً[8]، بواسطة النفق الذي حفره أتباعه[9]، وبعد أن تمكن من الهرب استجار بالأمير مسلمة بن

(1) مؤلف مجهول، من القرن الثالث الهجري، العيون والحدائق وأخبار الحقائق، (دي. جويلي، ليدن: 1871م)، 50/3.

(2) المبرد، الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، (ط1، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة: 1956)، ص111–112.

(3) الصاوي، شرح ديوان الفرزدق، 140/1.

(4) التنوخي، أبو علي المحسن بن علي، الفرج بعد الشدة، (ط1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة: 1955)، 135/1.

(5) أبن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، شرح وتصحيح: أحمد أمين وآخرون، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: 1956)، مج185/2.

(6) الصاوي، شرح ديوان الفرزدق، 140/1.

(7) التنوخي، الفرج بعد الشدة، 135/1.

(8) أبن عبد ربه، العقد الفريد، مج185/2.

(9) الاسكافي، محمد بن عبد الله الخطيب، لطف التدبير، تحقيق: أحمد عبد الباقي، (مطبعة السنة المحمدية، القاهرة: 1964)، هامش ص215.

عبد الملك[1] (ت 120هـ/ 738م)، وقال الشاعر الفرزدق في ذلك الهروب:

لما رأيت الأرض قد سُد ظهرها ولم يبق إلا بطنها لك مخرجا[2]
دعوت الذي ناداه يونس بعدما ثوى في ثلاثٍ مظلمات ففرجا[3]
فأصبحت تحت الأرض قد سرت سيرة وما سار مثلها حين أدلجا[4]
خرجت ولم يمنن عليك طلاقة سوى ربذ التقريب من نسل أعوجا[5]

إن ذلك الهروب يعتبر غاية في التخطيط والدقة في التنفيذ في ذلك الوقت.

2. اصطناع الحيل المناسبة:

لقد ابتكر بعض السجناء العديد من الحيل في سبيل الهرب من السجن ومن تلك الحيل التي اتبعها بعض السجناء التنكر بأشكال متعددة منها:

أ. **لبس لحيـة:** ذكر أن أحد السجناء "لبس ثياب طباخه ووضع على لحيته لحية بيضاء"[6]ووضع القدر على رأسه وخرج من السجن ثم أرسل اللحية على بقية من

(1) أبن المرزبان، أبو بكر محمد بن خلف، المروءة وما جاء في ذلك عن النبي (ﷺ) وعن الصحابة والتابعين، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، (ط1، دار أبن حزم، بيروت: 1999)، هامش ص62؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 2004)، مج 640/4.

(2) الأصفهاني، الأغاني، 315/21.

(3) البري، محمد بن أبي بكر بن عبد الله، الجوهرة في نسب النبي (ﷺ) وأصحابه العشرة، تنقيح وتعليق: محمد التونجي، (ط1، دار الرفاعي، الرياض: 1983)، 362/1.

(4) أبن عبد ربه، العقد الفريد، مج186/2.

(5) المبرد، الكامل، 88/3.

(6) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط4، دار المعارف، مصر: 1979)، 448/6-449.

هناك فخرجوا[1]، في حين ذكر أبن حبيب "اتخذوا لحية على لحية خباز كان يدخل إليهم فشبهوها على الحرس حتى خرجوا من السجن"[2].

ب. **لبس ثياب امرأة:** أشير إلى أن سجيناً هرب من السجن في زي امرأة[3]، وذلك بعد أن أتته زوجته بالطعام، فتنقب بنقابها ولبس ثيابها[4]، فخرج فظن الموكلون به إلى أن الذي خرج هو امرأة فدخلوا بعد ذلك فوجدوا المرأة، وقال يصف خروجه من السجن:

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل إليك على تلك الهزاهزة الأزل
على ثياب الفانيات وتحتها عزيمة رأي اشبهت سلة النصل[5]

ثالثا: دور الاضطرابات السياسية:

يعد حدوث الاضطرابات السياسية في الدولة فرصة مناسبة تستغل من قبل السجناء لتنفيذ خططهم للهروب من السجن ويتم هذا الامر بعدة طرق منها:

1. **مهاجمة اهل السجين للسجن (ظاهرة كسر باب السجن):** إن ظاهرة كسر باب السجن وهروب السجناء طالما تكررت في سجون الدولة الإسلامية، وتناولتها الكثير من النصوص التاريخية، وقد تعددت موجبات تلك الظاهرة،

(1) الصاوي، عبد الله إسماعيل، شرح ديوان الفرزدق، (ط1، مطبعة الصاوي، مصر: 1936)، ص17.
(2) أبو جعفر محمد، المحبر، اعتنى بتصحيحه: إيلزة ليختن شتيتر، (مطبعة الدائرة دار الآفاق الجديدة، بيروت: 1361هـ)، ص191.
(3) الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، شرح أدب الكاتب، (مكتبة القدس، القاهرة: 1350هـ)، ص283؛ الغساني، الملك الأشرف، العسجد المسبوك والجوهر المملوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، (دار البيان، بغداد: 1975)، ص344.
(4) حمادة، الوثائق السياسية، ص481.
(5) المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران، أخبار شعراء الشيعة، تلخيص: محسن الأمين العاملي، تحقيق: محمد هادي الأميني، (ط1، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف: 1968)، ص73-74.

فهنالك من يشير إلى أن أوقات الفوضى والاضطراب التي تعم البلاد من حين إلى آخر تشجع على هذا الأمر فقد استغلت بعض القبائل الفرصة و تشجعت على القيام بكسر الحبس وإخراج رجالها منه[1]، وحتى بعض الأقوام تسارع إلى إخراج قومهم من الحبس[2]، كفعل أحدهم الذي حبست امرأته، فأقبل زوجها في فتيانه ليلاً فكسروا السجن وأخرج امرأته وكل امرأة ورجل كان فيه[3]، وقال في ذلك:

ألم تعلمي يا أُم ثوبة أنني أنا الفارس حامي حقائق مذحج
وإني صبحت السجن في سورة الضحى بكل فتى حامي الذمار مدجج
فما أن برحنا السجن حتى بدا لنا جبين كقرون الشمس غير مشنج[4]

بل حتى أن أحد المتمردين على السلطة عندما تكثر جموعه يعمد إلى كسر الحبس وإخراج من في السجن[5]، فضلاً عن الثائر على الحكم لا يتوانى عن كسر السجن وإخراج من كان فيه[6]، ووثوب غلمان سجين فيخرجوه من السجن[7]، وعند موت خليفة وهروب الوالي ينطلق الناس إلى الحبس فيكسروه

(1) الطبري، تاريخ، 533/5.
(2) البلاذري، جمل من كتاب أنساب الأشراف، 316/5؛ الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، ص99؛ أبو الضيا، عبد الرحمن بن علي الدبيع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق وتعليق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، (المطبعة السلفية، القاهرة: د. ت)، ص174.
(3) الطبري، تاريخ، 129/6؛ أبو الشباب، أحمد عوض، تاريخ الخلافة الأموية بين الحقائق والأوهام، (ط1، مؤسسة الربان، بيروت: 2008)، ص228.
(4) أبن الأثير، الكامل، 289/4-290؛ دهمان، أحمد علي عبيد الله بن الحر الجعفي، بين أناشيد البطولة وآلام الحسرة والندم، بحث منشور في مجلة جامعة حلب، العدد الثامن لسنة 1990، ص89.
(5) أبن الطقطقي، محمد بن علي طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، (دار صادر، بيروت: 1966)، ص240؛ الهاشمي، سلمى عبد الحميد حسين، كتاب بغداد أول مصنف عن مدينة السلام، (ط1، بيت الحكمة، بغداد: 2002)، ص301.
(6) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص194.
(7) الزركلي، الأعلام، 246/9.

ويخرجون السجناء[1]، ووصل الأمر إلى أن يجمع أخو أحد السجناء الناس ويدخلون السجن ويكسرون بابه ويخرج أخاه منه، ومما قاله السجين في سجنه:

إذا نبحت كلاب السوق يوماً طمت كبدي وهش لها فؤادي
طماعة أن يدق السجن أهلي وخوفاً أن تبيتني الأعادي[2]

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى أن قوماً ذهبوا إلى الحبس وفيه شاعر وطلبوا منه تعهد بعدم ذكر أختهم بشعره مقابل إطلاق سراحه من السجن فوافق وأخرجوه من السجن[3]، إن تلك النصوص توضح الصورة التي كانت عليها السجون في ذلك الوقت فمن الراجح أن بعض تلك السجون لم تكن من المنعة والمتانة التي يصعب على العامة اقتحامها ، فضلاً عن قلة الحراس الموكلين بالحراسة مقارنة بالأعداد الكبيرة من المقتحمين للسجن، ولا ننسى أن في أوقات الفوضى والاضطراب يصبح من العسير المحافظة على الأمن والنظام لغياب السلطة والقانون، وقوة العصبية القبلية في ذلك الوقت.

(1) الدينوري، الأخبار الطوال، ص250؛ فلهاوزن، الخوارج والشيعة، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام– ترجمة عن الألمانية: عبد الرحمن بدوي، (ط3، دار القلم، بيروت: 1978)، ص65.

(2) ابن الدمينة، أبو محمد الحسن بن أحمد، ديوان ابن الدمينة، صنعة: أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق: أحمد راتب النفاخ، (مطبعة المدني، مصر: 1379هـ)، ص10–12؛ وورد اختلاف في البيت الثاني من الشعر في المختار من شعر أبن الدمينة للخالديان، أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد بني هشام، تحقيق: مختار الدين أحمد، (معهد الدراسات الإسلامية، الهند: 1962)، ص53 كما يلي:

إذا نبحت كلاب السجن ليلاً هفا قلبي وهش لها فؤادي.

(3) الأصفهاني، الأغاني، 155/24.

قيل أن عبد الله بن الزبير (ت 74هـ/693م) حبس محمد بن الحنفية (ت81 هـ/700م)[1]، ومن معه من أهل بيته بزمزم[2]، والناس يمنعون من الدخول عليه[3]، فوجه المختار بن عبيدة (ت67 هـ/687م) جماعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا السجن[4]، واستخرجوا السجناء[5]،

كما أن السجناء أنفسهم يلاقون الدعم من خارج السجن متمثلاً بالتشجيع على الهرب يسارعون إلى كسر باب الحبس والخروج من السجن في وقت الاضطرابات السياسية[6]، كما فعل الخوارج في العصر العباسي عندما كسروا ابواب السجن وهربوا منه الذين حبسوا بأمر من الوالي عندما توفي ذلك الوالي خرجوا من السجن[7]، بل أن قسماً منهم عند وثوب الناس بالوالي كسروا السجون وفروا منها.

(1) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، تعليق: خليل المنصور، (ط2، دار الكتب العلمية، بيروت: 2002)، 182/2؛ مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، (مطابع دار صادر، بيروت: 1971)، ص99.

(2) الطبري، تاريخ، 76/6؛ في حين ذكر أبن خياط، أبو عمرو خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، مراجعة وضبط: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1995)، ص163 أنه حبسهم في شعب بني هاشم. ؛ بينما أشار الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، ثمار القلوب في المصاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1، المطبعة العصرية، بيروت: 2003)، ص342، أنه حبسهم في سجن عارم.

(3) السامرائي، أحمد عبد الغفور، فقهاء أهل البيت (ﷺ) في عصر الخلافة الراشدة والعصر الأموي، (ط1، مطبعة ديوان الوقف السني، بغداد: 2005)، ص390.

(4) أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم، كتاب المحن، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، (ط1، دار الغرب الإسلامي، د. م: 1983)، ص337.

(5) البياسي، الإعلام بالحروب، 375/2.

(6) الطبري، تاريخ، 478/5؛ بيضون، إبراهيم، الحجاز والدولة الأموية– دراسة في إشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري، (ط1، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت: 1983)، ص259.

(7) الطبري، تاريخ، 567/5؛ أبن الأثير، الكامل، 336/3؛ البياسي، الإعلام بالحروب، 343/1؛ معروف، نايف محمود، الخوارج في العصر الأموي– نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم،

2. **اقتحام السجون:** كان اقتحام السجون احيانا يتم بتعاون العامة مع فرق الجند مستغلين أوقات الاضطرابات السياسية والفوضى كونها تعد رمزا للطغيان والهيمنة والقهر ومنها على سبيل المثال لا الحصر هاجمت العامة مع فرق الجند في سنة (249هـ/863 م)، وفي السنة نفسها هاجمت العامة مع الجند واقتحموا سجن بغداد وأخرجت منه جماعة من نواحي خراسان والصعاليك من أهل الجبال والمحمرة وغيرهم وقطعوا أحد الجسرين وضربوا الآخر بالنار وانحدرت سفنه وانتهبت ديوان قصص المحبسين وقطعت الدفاتر وألقيت في الماء"[1]، سجن نصر بن مالك وتم اطلاق سراح من كان فيه[2] وفي خلافة المستعين في سنة (251هـ/865م) هاجمت العامة بتعاون الجند سجن النساء وأخرجت من فيه[3] وفي سنة (255هـ/869م) هاجمت العامة أيضا بمساندة فرق الجند الشاكرية سجن باب الشام الذي كان أكثر محابيسه (السجناء) فيه من أهل الجرائم، "فاجتمع جماعة من الجند الشاكرية ومعهم جماعة من العامة حتى صاروا إلى سجن باب الشام ليلاً فكسروا بابه وأطلقوا في الليلة أكثر من فيه، فلم يبق فيه من أصحاب (أهل) الجرائم أحد إلا الضعيف والمريض والمثقل"[4].

وفي ما يلي جدول يبين حالات الشغب والاضطرابات التي أدت إلى قيام العامة والجند إلى اقتحام السجون

سنة (141هـ/758م)	شغبت العامة وكسروا باب السجن[5].

أدبهم، (ط1، دار الطليعة، بيروت: 1976)، ص139. حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص109.

(1) الطبري، تاريخ، 262/9.

(2) الطبري، تاريخ 262/9، ابن الاثير، الكامل، 122/10.

(3) الطبري، تاريخ، 366/9.

(4) نفسه، 401/9.

(5) أبو الفداء، عماد الدين بن إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، (دار الكتاب اللبناني، بيروت: د. ت)، 6/3.

سنة (169هـ/785م)	شغب الجند على الربيع[1] ببغداد وأخرجوا من كان في حبسه[2].
سنة (167هـ/813م)	أثناء الحرب بين الأمين والمأمون سنة (194-198هـ/811-815م) خرجت العامة في بغداد وفتحت السجون وأطلق من فيها[3].
سنة (197هـ/814م)	نتيجة الحروب الداخلية واختلال الأمن فيها إلى درجة الفوضى نقب أهل السجون السجون[4].
سنة (230هـ/844م)	كثرت كبسات اللصوص على دور الأغنياء وفتحوا السجون[5].
سنة (249هـ/863م)	هاجمت العامة مع الجند واقتحموا السجن بسامراء وأخرجوا من فيه[6]
سنة (249هـ/863م)	هاجمت العامة مع الجند واقتحموا سجن نصر بن مالك واخرجوا من فيه[7]
سنة (255هـ/868م)	كسرت العامة بالتعاون مع فرق الجند بعض السجون في بغداد[8].

(1) الفضل بن الربيع، وزير هارون الرشيد كان يتمتع بمكانة بارزة في البلاط العباسي، توفي سنة 208هـ/824م، للمزيد أنظر: الزركلي، الإعلام، 353/5. .

(2) الطبري، تاريخ، 188/8.

(3) أبن خلدون، تاريخ، (منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت: 1971)، 238/3.

(4) الريس، محمد ضياء الدين، نظام الخراج في الدولة الإسلامية، (ط1، مطبعة نهضة مصر، القاهرة: 1957)، ص451.

(5) الحصونة، نشأت السجون وتطورها، ص92.

(6) الطبري، تاريخ، 262/9.

(7) ابن الاثير، الكامل،123/7.

(8) أبن الأثير، الكامل، 202/7؛ لسترانج، غي، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة: بشير يوسف فرنسيس، (بغداد: 1923)، ص117.

سنة (278هـ/891م)	اقتحمت العامة مع بعض فرق الجند أبواب السجون ولم يبق أحد في المطبق ولا في الجديد إلا وأُخرج[1].
سنة(292هـ/904م)	نهبت العامة الفسطاط "في مصر" وكسروا السجون وأخرجوا من فيها[2].
سنة (300هـ/912م)	وثبت العامة من أهل السوق على الجند وكسروا السجون[3].
سنة (306هـ/918م)	شغب أهل السجن الجديد وصعدوا إلى السور[4].
سنة (307هـ/919م)	كسرت العامة الحبوس في مدينة المنصور[5].
سنة (308هـ/920م)	فتحت السجون على إثر قيام العامة بمساندة فرق الجند بأعمال سلب ونهب نتيجة لغلاء الأسعار في بغداد[6].
سنة 330(هـ/941م)	فتح العيارون السجون[7].

(1) المسعودي، مروج الذهب، (دار الأندلس، بيروت: 1966)، مج2 ج4، ص140.
(2) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (مطبعة الساحل اللبناني، لبنان: 1959)، مج106/2.
(3) مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داؤد، (مطبعة النعمان، النجف الأشرف: 1972)، ج4 ق244/1. .
(4) أبن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (الدار الوطنية، بغداد: 1990)، 146/6-147.
(5) لسترانج، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص48.
(6) أبن تغرى بردى، جمال الدين أبن المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر: د. ت)، 198/3.
(7) الصولي، أخبار الراضي، ص223.

سنة 361(هـ/971م)	شغب الجند الأتراك وفتحوا السجون[1].
سنة (414هـ/1023م)	حدثت فتنة في قرطبة نتج عنها تكسير باب السجن[2].
سنة 428(هـ/1036م)	ثار جماعة من العيارين فكبسوا الحبس بالشرقية[3].

الخاتمـــــة

كان بناء السجون في الماضي يتسم بالبساطة مما يجعل خرقها ممكناً وسهلاً نظراً لبدائية الأبنية المخصصة كسجن، فضلاً عن قلة الاحتياطات الأمنية وما يرافقه من إهمال وانشغال بعض الحراس في المناسبات المختلفة.

(1) أبن أبي أصبيعة، موفق الدين أبو العباس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (ط2، دار الثقافة، بيروت: د. ت)، 232/2؛ الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، (شركة الرابطة، د. م: 1945)، ص280-281.

(2) الحداد، حميد، السلطة والعنف في المغرب الإسلامي، (ط1، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق: 2011)، ص147.

(3) أبن الجوزي، المنتظم، (طبع سنة 1359هـ)، 91/8.

وقد ساهمت زيارة السجن من قبل أقارب وأعوان السجين من التحقق من الأماكن والثغرات الموجودة في السجن، والتي تساهم بشكل كبير وفعال في وضع الخطط التي تجعل عملية الهروب من السجن ممكنة.

علماً بأن هنالك محاولات للهرب قام بها السجين من داخل السجن فضلاً عن محاولات اتسمت بالمساعدة الخارجية التي سهلت عملية الهروب، ولا ننسى أعمال الشغب والاضطراب التي كانت تعصف بالدولة الإسلامية من حين إلى آخر والتي تنتهي عادة بكسر السجون وهروب السجناء.

Spotlight on Ways of the Prisoners Escape in Abbasid Age

Dr. Raid Mohammed Hamid Dr. Wgdan Abdul-Jabbar Hamdi

Abstract

The research aims at shedding light on a diversity of many prisoners in inventing many ways and methods to achieve their aim; namely escaping from the jail. These invented ways and methods do not happen in one way, but they pass through many things, which were taken into consideration. The prisoner was investigating the weak places in the prison like little perfection and weakness in the guard represented by negligence and the busyness of guards, besides the prisoner gaining the trust in the guards. Many times, the prisoner asked for help from one of his relatives or his supporters by the accurate and coordinated planning from both sides. What is of most importance of all that is the power of will and insistence showed by the prisoner, because it is the strong motive that helped him in making the process of his escape from the jail something successful.